٧

الإيمان بالقضاء والقدر

أولًا: الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

ثانيًا: الأدلة العقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

ثالثًا: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل السابع
الإيمان بالقضاء والقدر

مقدمة:

الإيمان بالقضاء والقدر يعنى التصديق الجازم بأن كل خير أو شر إنما هو بقضاء الله وقدره. وأنه سبحانه الفعال لما يريد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[هود:١٠٧]، ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ* فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٥-١٦]. وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه...)[١٦١].

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أمورًا أربعة: أولها: الإيمان بأن الله علم كل شيء جملة وتفصيلا. وثانيها: الإيمان بأنه تعالى قد كتب ذلك فى اللوح المحفوظ، قال ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة...)[١٦٢]. وثالثها: الإيمان بمشيئة الله النافذة التى لا يرده شيء، وبقدرته التى لا يعجزها شيء، ما شاء كان، وما لم

يشأ لم يكن. ورابعها: الإيمان بأن الله هو الخالق الموجد للأشياء كلها، وأن كل ما سواه مخلوق له[١٦٣].

ويمكن تناول ذلك الركن من أركان العقيدة، فى أربع نقاط، هى:

- الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.
- الأدلة العقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.
- ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.
- تربية الأبناء على الإيمان بالقضاء والقدر.

أولاً: الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

جاء الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، بالكتاب المقدس – بعهديه القديم والجديد – وبالقرآن الكريم، والسنة النبوية.

فورد بالتوراة ما يدل على امتثال موسى عليه السلام لأمر الله ورضاه بقضائه وحكمه، فيما أيده به من معجزات كانت خيرًا له ولقومه بنى إسرائيل، أو ما لحق بهم من عقاب فى رحلتهم وتيههم فى الصحراء.

وأيوب عليه السلام كان مثالًا للصبر والرضا بقضاء الله وقدره فيه. فجاء بسفر أيوب ما نصه: [فأجاب أيوب الرب فقال: قد علمت أنك تستطيع كل شىء، ولا يعسر عليك أمر. فمن ذا الذى يخفى القضاء بلا معرفة؟][أى:١:٤٢-٣].

وجاء فى مزامير داود عليه السلام: [معروف هو الرب، قضاءً أمضى][مز ٩-١٦]. [يا رب... عالية أحكامك][مز١٠: ٥]، [أحكام الرب حق عادلة كلها][مز١٩: ٩].

وجاء بالأناجيل ما يؤكد إيمان عيسى، عليه السلام، بقضاء الله وقدره، فإن الإرادة إرادة الله والمشيئة مشيئته، وإن الإنسان لا يعمل إلا ما يريده الله. فكان يقول عن نفسه: [الحق الحق أقول لكم: لا يقدر ابن الإنسان أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما ينظر الآب يعمل][يو٥: ١٩]. وقال: [أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا... لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلني][يو٣٠:٥]. كما أكد إيمانه بأن قضاء الله ماضٍ فيه عند القبض عليه وتسليمه ليصلب، وأن قدره سبحانه نافذ لا محالة، فقال: [يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عنى هذا الكأس. ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك][لو٤٢:٢٢]. وقال عن نفسه: [إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه][مر٢١:١٤].

ويعد الإيمان بالقدر خيره وشره أصل من أصول العقيدة فى الإسلام. وهو "عقيدة من العقائد التى أسسها الإسلام على الإيمان بالله عز وجل، وبناها على المعرفة الصحيحة لذاته العليا، وأسمائه الحسنى، وصفاته العظمى. فكان فى عداد ما ينبغى الإيمان به والاطمئنان إليه، أن لله وحده صفات العلم الواسع، والإرادة الشاملة، والقدرة الكاملة، وأنه سبحانه فعَّال لما يريد، عالم بما

يفعل... وعلى هذه الصفات قامت عقيدة القضاء والقدر. فكان الإيمان بها– لا ريب– جزءًا متممًا للإيمان بالله، وعنصرًا من حقيقته الواضحة المشرقة"[١٦٤].

وقد وردت الأدلة على ضرورة الإيمان بالقدر فى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

فقد أكد المولى سبحانه فى أكثر من موضع بكتابه العزيز أن قدره نافذ وقضاءه لا يرد، حيث قال عن خلق عيسى، عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[مريم:٣٥]، فإذا أراد أن يحدث أمرًا فلا راد لقضائه. وأورد سبحانه العديد من الأمثلة الدالة على نفاذ قضائه وقدره مع الفاسقين والظالمين، أمثال قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، وقوم هود، وفرعون وقومه، وغيرهم، عسى أن يكونوا عبرة لغيرهم عبر العصور.

فقال عن طوفان نوح، عليه السلام: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ* وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾(القمر:١١-١٢)، أى على أمر قد قدر لأجل نفاذ أمر قدَّرناه أزلًا وهو هلاكهم بالطوفان[١٦٥]... والمتأمل للآيات السابقات، التى يؤكد المولى سبحانه فيها قضاءه ونفاذ حكمه، ليراها إنما جاءت فى مواقف عقائدية، مؤكدًا بها على وحدانيته سبحانه، لا زوجة له ولا ولد، وأن عيسى رسول من

رسله، ومؤكدًا على عاقبة الكافرين به من قوم نوح والفاسقين من قوم لوط الجاحدين المبدلين للفطرة التى فطر الناس عليها... والشىء نفسه قد حدث ونفذ قضاء الله وقدره مع قوم صالح، وهود، ومع فرعون وقومه، عسى أن يكونوا عبرة لغيرهم عبر العصور.

كما ذكر المولى أمثلة أخرى لقضائه وقدره فى القوم الظالمين والفاسقين، الذين عتوا عن أمر ربهم. فقال عن قوم لوط: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾(الحجر: ٥٧-٦٠). أى قضينا وحكمنا أن تكون مع الهالكين... والمتأمل لهذه الآيات يرى أن قضاء الله وأمره نفذ فى قوم لوط المبدلين للفطرة التى فطر الله الناس عليها، ليكونوا عبرة لغيرهم من العصاة والمجرمين والمبدلين لفطرة الله فى كل زمان ومكان. وإلا فقضاء الله نافذ وجنوده جاهزة وكثيرة... فالعواصف والفيضانات جنود، والزلازل والبراكين جنود، والفتن والحروب جنود، والأوبئة وأمراض العصر جنود... ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِى إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(المدثر:٣١).

وقد أوضح رب العزة سبحانه وتعالى جزاء المتقبلين لقضاء الله والصابرين عند المصيبة، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٦-١٥٧].

وقال عز وجل فى حديثه القدسى مؤكدًا ضرورة الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره وموضحًا جزيل ثواب الصابرين والمحتسبين: (ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثوابًا إلا الجنة)[١٦٦]. والجنة لا ينالها إلا من كمل إيمانه وصح، وصلح- بناءً على ذلك- عمله، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾(الكهف:١٠٧)، والإيمان لا يكون صحيحًا إلا إذا اكتملت أركانه، والتى يعد الإيمان بالقضاء والقدر الركن السادس منها.

أما عن أحاديث الرسول ﷺ عن الإيمان بالقضاء والقدر، فذلك حديثه مع جبريل، عليهما السلام، فيما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الإيمان: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١٦٧].

وذلك حديثهﷺ، فيما يرويه عبدالله بن عباس رضى الله عنهما، قال: كنت خلف رسول اللهﷺ يومًا، فقال: (يا غلام إنى أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف)[١٦٨]. فقدر الله نافذ ولا راد لقضائه.

والمؤمن بالقضاء والقدر يجد الخير والسعادة ويجد الرضى فى قضاء الله وقدره، خيرًا كان أو شرًا. قال رسول اللهﷺ: (عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له)[١٦٩].

ثانيًا: الأدلة العقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

أما الأدلة العقلية على وجوب الإيمان بالقدر فلا يمكن إنكارها... فهب أنك- مثلًا- أعددت العدة كاملة لدخول الامتحان، أو لدخول مزاد علنى، أو نحو ذلك، ولكن فى اليوم المحدد فاجأك القدر بحادث عارض فى الطريق، منعك من دخول الامتحان أو المزاد... فهل لديك من القدرة والإمكانات ما تمنع به هذا القدر؟؟... وهب أنك- مثال آخر- حصلت على صفقة أكدت لك كل الشواهد والمقدمات أنها صفقة رابحة رابحة... ولكن أثناء نقلها من مكانها إلى مكانك فاجأك القدر بانقلاب الشاحنة وهلاك أو تلف الشحنة فى الطريق، أو بغرق الصفقة فى عرض البحر،أو بحريق شب فيها وهى فى مخزنها، أو نحو ذلك... فهل لديك من القدرة والإمكانات- مهما أوتيت من قدرة وإمكانات- ما تمنع به هذا القدر؟... إذًا ليس أمامك سوى أن تؤمن بأن مقادير الأمور بيد مقدرها سبحانه.

مثال ثالث، كدليل عقلى على قدر الله الأزلى قبل أن يخلق الخلائق، وهو: إذا كان المهندس المعمارى يرسم على ورقة صغيرة رسمًا لقصر

من القصور -مثلًا- ويحدد له زمن إنجازه، ثم يعمل على بنائه، فلا تنتهى المدة التى حددها حتى يخرج القصر من الورقة إلى حيز الوجود، وطبقًا لما رسمه على الورقة، بحيث لا ينقص منه شىء وإن قل، ولا يزيد... فكيف ينكر على الله أن يكون قد كتب مقادير العالم إلى قيام الساعة، ثم لكمال قدرته وعلمه يخرج ذلك المقدر طبق ما قدره فى كميته، وكيفيته، وزمنه، ومكانه؟! مع العلم بأن الله تعالى على كل شىء قدير(١٧٠).

ولا يعنى القدر أن الإنسان مسير ولا مكان له للاختيار أو الاجتهاد. ولكن الإيمان بالقدر يسوق معتقده دائمًا إلى السعى والعمل والأخذ بالأسباب، وعدم اليأس عند الإخفاق. أى أنه يعنى التوكل لا التواكل.

ويؤكد الإسلام بأن الإيمان بالقدر لا يكون صحيحًا إلا بعد الأخذ بالأسباب. بل يعتبر القرآن الكريم من يستسلم دون أن يعمل بالأسباب ودون أن يثق فى توفيق الله له كافرًا. فذلك قول الحق تبارك وتعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِى اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(يوسف:٨٧). فأمر يعقوب بنيه بالبحث عن يوسف وطلب معرفة أخباره رغم مضى سنين عديدة على فقده، ونهاهم عن اليأس والركون وإلا عُدوا من الكافرين.

فالتوكل يعنى العمل والأخذ بالأسباب أولًا، ثم ترك النتيجة على الله سبحانه وتعالى. فأنظر لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُون * وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(هود: ١٢١-١٢٣)، لتجد أمره بالعمل بل الاجتهاد فى العمل بكل الطاقة والإمكانات، قبل أن يأمر بالتوكل عليه وانتظار النتيجة.

فالإيمان بالقدر يعنى التوكل على الله والرضا بحكمه بعد الأخذ بالأسباب وكما يعنى عدم القنوط واليأس إذا كانت النتائج على غير ما يهوى الإنسان. فعندما قال سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة:٥١)، وقال أيضًا بالحيطة والحذر من الأذى والضرر ومن الإخفاق والفشل، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ...﴾(النساء:٧١)، وأمر أيضًا بالوقاية من كل ذى شر، فقال: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ...﴾(التحريم:٦).

ثالثًا: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

هناك ثمرات جليلة للإيمان بالقضاء والقدر، منها:

١- الجد فى السعى والعمل والأخذ بالأسباب. لأن عقيدة القدر فى القرآن هى التى تعلم المؤمن أن لهذا الكون نظامًا محكمًا وسننًا

مطردة ارتبطت فيها الأسباب بالمسببات، وأن ليس فى خلق الله خلل ولا مصادفات، مما يدفعهم إلى البحث فى الكائنات وتعرف سنن الله فى المخلوقات، وطلب الأشياء من أسبابها والجرى إليها فى سنتها.

٢- معرفة أن مشيئة الإنسان ضمن مشيئة الله. فالإسلام يثبت الاختيار والكسب للعباد ولكن العباد يفعلون بإرادتهم واختيارهم ما يرد الله وما قدره لهم أن يفعلوه، لسابق علمه الأزلى بذلك. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ* لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ* وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٧-٢٩]. فالله سبحانه يخبر أن العباد يفعلون بإرادتهم واختيارهم ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، ولكن يفعلون ما يشاء الله[١٧١]، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾.

٣- رد الإنسان أموره إلى خالقه، لأنه إذا علم أن كل شىء بقضائه وقدره فإنه سيرجع إلى الله فى دفع الضراء ورفعها، ويضيف السراء إلى الله، ويعرف أنه من فضل الله عليه.

٤- معرفة الإنسان لقدر نفسه، ولا يفخر إذا فعل الخير، ولا يتعالى ولا يتكبر إذا حقق نصرًا.

٥- هوان المصائب على العبد، لأن الإنسان إذا علم انها من عند الله هانت عليه... "فمن حكمته السامية سبحانه وتعالى أن دعا الأنفس البشرية للإيمان بالقدر ليكون مخففًا لجزعها إذا نزلت بها

النوائب، ومثبتًا لها عند ملاقاة المصائب وتجشم المصاعب. فإذا هاجم اليأس قلب امرئ من مطلبٍ يطلبه، أو قامت العقبات دون رغبة يرغبها- رغم أخذه بالأسباب- قام الإيمان بالقدر والاعتماد على الله لنجدته، فهو يفتح له الأبواب المغلقة ويزيل له المصاعب الشديدة فيأخذ العدة من حيث أمره الله باتخاذها"[١٧٢]. فتدور عجلة الحياة، وتسير فى الاتجاه الذى يرتضيه سبحانه.

٦- إضافة النعم إلى مسديها، لأنك إذا لم تؤمن بالقدر أضفت النعم إلى من باشر الإنعام- أى إلى السبب وليس إلى المسبب سبحانه. وهذا يوجد كثيرًا فى الذين يذهبون إلى الملوك والأمراء والرؤساء وكبار المسئولين، فإذا أصابوا منهم ما يريدون جعلوا الفضل إليهم ونسوا فضل الخالق سبحانه.

٧- معرفة الإنسان لحكمة الله عز وجل فى قضائه وقدره، لأنه إذا نظر الإنسان فى هذا الكون وما يحدث فيه من تغيرات باهرة عرف بهذا حكمة الله عز وجل، بخلاف من نسى القضاء والقدر، فإنه يستفيد من هذه الفائدة[١٧٣].

٨- تحقيق طمأنينة القلب، وقوة الإرادة، لعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٩- تحقيق الصحة النفسية وراحة البال، وعدم القنوط واليأس إذا كانت النتائج على غير ما يهوى الإنسان.

١٠- الاعتقاد بالقدر يتبعه خلق الشجاعة والبسالة والجود والسخاء... فالذى يعتقد بأن الأجل محدود والرزق مكفول والأمور بيد الله يصرِّفها كما يشاء، كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة أمته وملته؟... "ولقد شكل الإيمان بالله واليوم الآخر وبقضاء الله وقدره السبب الحقيقى لانتصار أسلافنا المسلمين على أعدائهم"(١٧٤).

وعندما قال سبحانه وتعالى عن الرزق: ﴿وَفِى السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(الذاريات:٢٢)، طالب بالسعى وراءه والأخذ بأسبابه، فقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾(النجم:٣٩). وطالب الإنسان فى الوقت نفسه بالإنفاق منه فى مشاريع الخير دون خشية الفقر لأن رزقه مكفول، فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٧٢). وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(الإسراء:٣١). "فالذى يعتقد بأن الرزق مكفول، كيف يخشى الفقر حين ينفق من ماله فى تعزيز الحق وفعل الخير حسب الأوامر الإلهية؟"(١٧٥).

والذى يؤمن بالقدر يرضى بما قسم الله له من الذرية، ممتثلًا لقوله تعالى: ﴿...يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(الشورى:٤٩-٥٠).

وإن كان عقيمًا يأخذ بأسباب العلاج المشروع، أو يكفل يتيمًا. ولكن إيمانه بالقدر يمنعه فى الوقت نفسه من إشباع غريزة الأمومة أو الأبوة بطرق غير مشروعة، كخطف الأبناء أو الاتجار بهم أو نحو ذلك.

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان بالقضاء والقدر

يمكن تربية الأبناء على الإيمان بالقضاء والقدر من خلال مجموعة من الإجراءات، موجزة كما يلى:

١- تعليم الأبناء الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع الإشارة إلى بعض الأدلة النقلية فى هذا الصدد من الكتب السماوية السابقة، كالتوراة والإنجيل...

٢- تعليم الأبناء بعض الأدلة العقلية على الإيمان بالقضاء والقدر.

٣- تعليمهم بأن الله كتب فى اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيء أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس:١٢]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[الحج:٧٠].

٤- تعليمهم بأن الله على كل شيء قدير، وأن مشيئته نافذة. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا

يَشَاءُ﴾[الحج:١٨]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

٥- تعليمهم بأن من تمام الإيمان بالقدر، العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون، بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم(١٧٦).

٦- تعليمهم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر وفوائده.

ويمكن تربية الأبناء منذ مراحل طفولتهم على الإيمان بالقضاء والقدر، من خلال تنشئتهم وعيشهم فى بيئة إيمانية، فى البيت والمدرسة ومن خلال المسجد ووسائل الإعلام، وبالأسلوب الذى يناسب طفولتهم.

ونسوق لذلك- فى هذا المقام- مثالًا من عهده ﷺ يوضح أثر البيئة الإيمانية التى يعيش فيها الطفل على تربيته إيمانيًّا... فقد بينت السنة الشريفة أن الطفل الصغير الذى لم يبلغ الحلم بعد، يمكنه أن يستوعب هذه المسائل ويعتقدها. فقد كان عبدالله بن عباس رضى الله عنهما صبيًّا فى التاسعة من عمره، عندما علمه النبى أهم هذه المسائل المتعلقة بالعقيدة(١٧٧). فقد جاء فى الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبى ﷺ يومًا - أى راكبًا خلف النبى على حمار أو دابة- فقال: (يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك،

احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف)[١٧٨].

فهذه المسائل التى علما النبى ﷺ لهذا الغلام الصغير، الذى كان يركب خلفه، هى أمهات قضايا الإيمان، والتى تجعل صاحبها مسلمًا مستسلمًا لرب العالمين، مطيعًا محسنًا فى عبادته. مستيقنًا بقدره، مفتقرًا إلى الله ومتوكلًا عليه فى كل أمره.

ولقد استوعبها الطفل ووعاها وأداها، ثم علمها للأمة كلها من بعده رضى الله عنه وأرضاه... وإن كان هذا الطفل العربى القرشى قد أدرك هذا الأسلوب البليغ، فإننا يمكننا تعليم هذه الأمور، وأمثالها، لأطفالنا باللغة والأسلوب والألفاظ التى يستوعبون بها المعانى[١٧٩].

هوامش الفصل السابع

(١٦١) رواه الترمذى (٢١٤٤).

(١٦٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(١٦٣) محمد بن سليمان الأشقر: مرجع سابق، ص٧١.

(١٦٤) محمد الغزالى: **عقيدة المسلم**، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٨٧م، ص١٠٨.

(١٦٥) محمد حسن الحمصى: مرجع سابق، ص٥٢٩.

(١٦٦) **موسوعة الأحاديث القدسية**، جـ٢، حققه وخرج أحاديثه: مكتب العالمية للتراث، بنها، العالمية للنشر والتوزيع،١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، حديث ٨٧٤، ص٣٥٠، وقيل حديث حسن، وإسناده صحيح.

(١٦٧) رواه مسلم (٨)، وأبو داود: **سنن أبى داود**، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، حديث (٤٦٩٥).

(١٦٨) رواه الترمذى (٢٥١٦).

(١٦٩) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(١٧٠) أبو بكر جابر الجزائرى: **منهاج المسلم**، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط٤، د.ت، ص٤٠.

(١٧١) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص ص١٥١-١٥٣.

(١٧٢) المرجع السابق، ص١٥٥.

(١٧٣) أحمد مصطفى متولى: مرجع سابق، ص١٤٠.

(١٧٤) أيوب دخل الله: **التربية الإسلامية عند الإمام الغزالى**، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ص١٥٧.

(١٧٥) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٥٥.

(١٧٦) أحمد مصطفى متولى: مرجع سابق، ص١٣٩.

(١٧٧) محمد حسين: مرجع سابق، ص١٤٤.

(١٧٨) رواه الترمذى (٢٥١٦).

(١٧٩) محمد حسين: مرجع سابق، ص١٤٥.